المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد الثاني والثلاثون شهر (١) ٢٠٢١

صورة الآخر المصري في النص الرحلي العُماني بشرق أفريقيا
رحلة أبي الحارث البرواني (نموذجا دراسة وصفية)

إعداد: **بدر بن جمعة بن سويلم الغنامي**
طالب دكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا
البريد الإلكتروني: badar.juma@live.iium.edu.my
إشراف: الأستاذ المساعد الدكتور عبد الحليم بن صالح
قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الغسلامية العالمية- ماليزيا

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى وصف صورة الآخر المصري في النص الرحلي العماني بشرق إفريقيا، وذلك من خلال رحلة أبي الحارث البرواني ، إلى مصر، وبلاد الشام. وتنتهج هذه الدراسة المنهج الوصفي في وصف اللآخر المصري، وذلك عبر ثلاثة مباجث: المبحث الأول، ويدرس البيئة المكانية، والسكانية، والأماكن التاريخية للآخر المصري. فيما سيعالج المبحث الثاني النهضة العمرانية، والصناعية للآخر المصري. وأخيرا سيعالج المبحث الثالث المشاهد الدينية، والثقافية، والعادات والتقاليد للآخر المصري.

الكلمات المفتاحية: صورة الآخر- أدب الرحلة- الآخر المصري.

Abstract

This study aims to describe the image of the Egyptian other in the Omani travel text in East Africa, through Abu Al-Harith Al-Barwani's journey to Egypt and the Levant. This study adopts a descriptive approach in describing the Egyptian other, through three main points: the first research, and it studies the spatial environment, population, and historical places of the Egyptian other. While the second topic will deal with the urban and industrial renaissance of the Egyptian other. Finally, the third topic will deal with the religious and cultural scenes, customs and traditions of the Egyptian other.

Keywords : Image of the Other - Travel Literature - The Egyptian Other.

المقدمة

حظي موضوع " الأنا" و " الآخر" باهتمام المفكرين، والأدباء، والأنثربولوجيين في مختلف العصور، فهو لأمر قديم طبعت به الحضارات والأمم. وقد كانت الرحلة إلى عالم "الآخر المختلف، الجنس الأدبي الأكثر تجسيدا لعوالم الاختلاف بعد الرواية الحضارية، أو رواية الأنا والآخر"[1]. ويقصد بدراسة صورة الآخر "دراسة الصورة الأدبية المتشكلة للأنا والآخر في الأدب"[2]، وهي من المواضيع التي أخذت حظها من اهتمام النقاد، وذلك لعلاقتها بما يسمى بحوار الحضارات؛ فهي تكشف عما يتميز به الآخر من محاسن ومثالب، فضلا عن معتقداته، ورؤاه حول الحياة، والحقيقة. وعليه فصورة الآخر هي خلاصة التفاعل بين شعبين أو قوميتين مختلفتين ضمن جدلية الأنا والآخر وغالبا ما تبرز هذه الجدلية في الجانب السلبي منه[3]. وقد عرف معجم دليل الناقد الأدبي مفهوم الآخر بأنه "في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض الذات أو الأنا"[4]. كما أن تحديد الأنا بمختلف أبعادها لابد لها من الآخر، فهو المرآة التي ينظر إليها ومن خلالها للبحث ومن أجل تحقيق "الأنـا".

يمثل الآخر ثيمة مهمة، وركيزة أساس في النصوص الرحلية، إذ يمثل المجال الذي تدور حوله الذات في محاول منها لدراسته، وتحليله، وتقديمه محملا بأحكام بها من الصحة، والجهل الشئ الكثير. من أجل ذلك يبرز الآخر بعدا دراسيا لا بد منه في المتن الرحلي، ليدور في فلكه كل ما يتصل به في الفضاء المعاش ليتجاوز الشخوص" بأبعادهم الجسدية والشكلية، وعاداتهم وتقاليدهم، ومظاهر حياتهم اليومية كما يراها الرحالة"، وذلك إلى بعد أكثر عمقا في "فضاء مكتظ بأشخاص، وأبنية، ومساحات، وثقافات، وعادات، وتقاليد يختلف عن فضاء الأنا"[5].

قامت على أدب الرحلة دراسات نقدية مختلفة، وقدمت به دراسات من جوانب مختلفة. ويعرف أدب الرحلة بأنه "مجموع الكتابات التي لها علاقة بفعل الإنسانية وصورة الآخر التي تحيل على مبحث يسمى علم الصورImagologie التي تبنى على ثنائية الحاضر والغائب، أو الواقعي، والذهني/ الخيالي"[6]. وسوف يستخدم الباحث في هذه الدراسة التصنيف الذي توصل إليه عبد الحق بلقيدوم للآخر في دراسته "صورة الآخر في الثقافة العربية الإسلامية"[7]، حيث قسم الآخر إلى العربي/ المسلم، و الآخر الأجنبي(غير العربي). بالإضافة إلى هذه الرؤية ، سيتبني الباحث رؤية أكثر عمقا، وموضوعية، وهي دراسة أبو المعاطي خيري الرمادي، حيث حدد للآخر نوعين: الآخر الأجنبي، والآخر المشابه. و يقصد بالآخر المشابه " الآخر المشترك مع الأنا في العرق، والدين، واللغة، أو في أحدهما، والمختلف عنها جغرافيا. وهو الشعوب العربية، والإسلامية كلها. ولقد عددناه آخر بسبب الأثر الكبير للمكان في تشكيل صورة الذات، ووعيها، وانعكاس مكوناته على رؤيتها للواقع، والوجود، وعلى سلوكها، وتصرفاتها، وموقفها من الآخرين، وعلاقتها بهم"[8]. وبناء على دمج الرؤيتين المذكورتين، سيتبنى الباحث مفهوم الآخر في هذه الدراسة، متضمنا الآخر المشابه، ويتضمن الآخر العربي، والأفريقي، وستعالج هذه الدراسة الآخر المصري وفقا لهذه الرؤية.

---

1 مكي سعد الله، **الرحلات الأدبية العمانية، الأنا والآخر في أدب الرحلة-دراسة نقدية مقارنة** (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة ب اتنة1، الجزائر، 2017م)، ص ب.

2 مسعود شكري، "صورة الآخر في رواية المتشائل لأميل حبيبي"، **مجلة إضاءات نقدية**، (السنة7، ع36، حزيران2017 م)، ص 85-109.

3 بو حفص بو جمعة، "الصورة الأدبية أو الصورولوجيا، بحث في جينيالوجيا المصطلح والدلالة"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، ص6-ص20.

4 سعد البازعي، وميجان الرويلي، **دليل الناقد الأدبي**. بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 2000م، ص21.

5 أبو المعاطي خيري الرمادي، صورولوجيا الآخر في الرحلة اليابانية لعلي أحمد الجرحاوي – دراسة وصفية، مجلة آداب البصرة، ع88، 2019م، ص9.

6 بوشعيب الساوري، **صورة الآخر في رحلات عربية: من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين**، سوريا: دار النايا للدراسات والنشر، 2014م، ص30.

7 انظر: عبد الحق بلقيدوم، **صورة الآخر في الثقافة العربية الإسلامية**، https://platform.almanhal.com/Reader/Article/ تاريخ الاسترجاع 3- 7- 2019م.

8 انظر: أبو المعاطي خيري الرمادي، المرجع السابق،ص10

أورد المحروقي موجزا لأنواع الآخر في الرحلات العمانية بشرق أفريقيا[9].وفي هذا الموجز، تضمنت رحلة السيد برغش بن سعيد نوعين من الآخر هما، الآخر الأوربي/ النصراني، والآخر العربي المصري. أما رحلة السيد خليفة بن حارب، فهي تتضمن الأوربي /النصراني، والعربي المصري، والعربي الشامي. و رحلة أبي الحارث البرواني تضمنت الأوربي/ النصراني، والعربي المصري، والعربي الشامي. وأخيرا رحلة البوسعيدي التي تضمنت كلا من الأوربي/ النصراني، والعربي المصري، والعربي الشامي.

درست مجموعة من البحوث أدب الرحلة العمانية في كل من عمان، وزنجبار. من هذه الدراسات، رسالة ماجستير بعنوان الرحلات الأدبية العمانية، رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا نموذجا) 2010م[10] لمريم الغافرية، وهدفت إلى إبراز هذه النوع من أدب الرحلات في المكتبة العمانية، وتوضيح ما تميز به أدب الرحلات العمانية في مقابل الفضاء العربي، وكذلك إبراز ما أضافته هذه الرحلات حول التأثر والتأثير مع الآخر. كم يوجد بحث بعنوان من أدب الرحلة في زنجبار البحث عن (أمة واحدة) قراءة في "رحلة أبي الحارث" للشيخ الأديب محمد بن علي بن خميس البرواني (ت 1953) [11]لمحمد بن ناصر المحروقي. ناقش إزدهار أدب الرحلة العمانية في زنجبار بشكل عام، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل السياسية والثقافية.

تعد زنجبار من مدن الساحل الشرقي لأفريقيا والتي أخذت مكانتها المرموقة ببن الحواضر العربية الإسلامية في زمن الحكم العماني لها خاصة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (1204 هـ /1791م -1273 هـ /1856م) الذي اتخذها عاصمة ثانية لعمان، وأقام بها نهضة عمرانية وزراعية وتجارية وسياسية، وقد سارعت الدول الكبرى في ذلك الوقت إلى فتح قنصليات لها على أرضها[12].

ولقد ساهم العمانيون في زنجبار، والساحل الشرقي لإفريقيا في وضع النواة الأولى لأدب الرحلة، وذلك مع نشوء الطباعة، والنشر؛ مما أدى إلى ظهور مصنفات في أدب الرحلة من خلال رحلات قام بها مجموعة من الرحالة من شرق إفريقيا إلى الأقطار العربية، والأوربية,

سعيتمد الباحث في هذه الدراسة على رحلة أبي الحارث البرواني[13].

9 انظر: محمد بن ناصر المحروقي، من أدب الرحلة في زنجبار البحث عن أمة واحدة: قراءة في رحلة أبي الحارث للشيخ الأديب محمد بن علي بن خميس البرواني ت 1953م، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، جامعة الكويت– مجلس البحث العلمي،20 يناير 2013م،ص21.

10 انظر: مريم الغفارية، **الرحلات الأدبية العمانية، رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا نموذجا**(رسالة ماجستير في اللغة العربية، سلطنة عمان: جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، 2010م).

11 محمد المحروقي، المرجع السابق.

12 سطان بن محمد القاسمي، **تقسيم الإمبراطورية العمانية 1856م–1862م**، د.م(الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1995م، ص53.

13 محمد بن علي البرواني، **رحلة أبي الحارث**، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط1، 2010م).

. رحلة أبي الحارث البرواني[14].

الغاية. ابتدأ البرواني[15] رحلته بالآية الكريمة أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ[16] مما يشير إلى أن القيام بهذه الرحلة يهدف إلى تطبيق لأوامر الربانية في السير، والسرى وذلك "للاعتبار، والغزاة، والحج، والهجرة، ثم التصرف من النصيب الذي لا ينسى، وغير ذلك مما لا ينزاح بغير الأسفار الشاقة"[17].

مخطط الرحلة. انطلقت الرحلة من ميناء زنجبار في20جمادى الأولى 1332هـ الموافق 17 إبريل 1941م، واستمرت لستة أشهر إلا أسبوع. الجدول التالي يوضح مخططا لمسارات الرحلة.

تاريخ الرحلة	من	إلى	وسيلة النقل
20جمادى الأولى 1332هـ	زنجبار	تانجا	الباخرة الألمانية جتريد ورمن
22 جمادى الأولى	تانجا	ممباسا	الباخرة
23جمادى الأولى	ممباسا	عدن	الباخرة
	عدن	السويس	الباخرة
	السويس	القاهرة	القطار
20 شعبان	القاهرة	بورت سعيد	القطار
	بورت سعيد	بيروت	باخرة نمساوية
	بيروت	دمشق	
28 شعبان	دمشق	بيروت	القطار

[14] طبعت هذه الرحلة لأول مرة عام 1915م ف بمطبعة النجاح في زنجبار. انظر خارطة مسار الرحلة بالملحق المرفق بالدراسة.

[15] محمد بن علي بن خميس البرواني شاعر مدائح ومسامرات، ولد في جزيرة زنجبار وتوفي فيها، قضى حياته بين زنجبار ومصر وبلاد الشام، وعمل مراسلا صحفيا للعديد من الجرائد والمجلات أثناء رحلاته، وله كتاب مطبوع في فن المقامات بعنوان(من مقامات أبي الحارث). انظر: **معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، و آسية البوعلي: دراسة عن مقامات البرواني –**مجلة نزوى** (مسقط، سلطنة عمان، ع24، أكتوبر 2000م).

[16] سورة غافر، الآية 82.

[17] البيروني، أبو الريحان. تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات الأماكن، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، القاهرة، مج8، ج 1و2، مايو ونوفمبر1962م، ص31

30 شعبان	بيروت	يافا	القطار
	يافا	القدس	المركب
	القدس	الخليل	
	الخليل	يافا	
	يافا	بورت سعيد	الباخرة
30 شوال	بورت سعيد	السويس	باخرة نمساوية
	السويس	جيبوتي	باخرة نمساوية
	جيبوتي	عدن	باخرة نمساوية
	عدن	ممباسة	باخرة نمساوية
	ممباسة	زنجبار	باخرة نمساوية

المبحث الأول: البيئة المكانية، والسكانية، والأماكن التاريخية للآخر المصري.

اهتم الرحالة بوصف البيئة المكانية للآخر المصري، حيث يجد الدارس في النص الرحلي وصفا مكانيا(جغرافيا) للمدن التي زارها الرحالة، وقد تفوات الوصف بين الوصف العام من حيث الموقع، ونوع الأراضي، وبين الوصف الدقيق. وقد اهتم الرحالة العمانيون في شرق إفريقا اهتماما عظيما بزيارة مصر، كيف لا، وهي أم الدنيا – كما يقال-ومهد الحضارات، وبلاد الفراعنة الذين شغلوا العالم بعلومهم، وأهراماتهم، وأعاجيب آثارهم. وقد احتفت النصوص الرحلية العمانية بمدينة السويس كونها تمثل المدخل البحر إلى الديار المصرية.

وصف البرواني السويس بأنها " مدينة عظيمة"[18]، وبين موقعها على البحر الأحمر في مدخل القنال، وهو يرجع بالمتلقي إلى التأريخ الأدبي للمدن المزارة، فهو يوضح بأن موقعها قريب من بقايا إحدى المدن القديمة المسماة بالقلزم، حيث كانت فرضة مصر والشام. وهنا يلتجأ الرحالة إلى الاستعانة بالشعر العربي الذي ذكر مدينة القلزم، وذلك في قول الشاعر:

" علوية أمست ودون مزارها مضمار مصر وعابد والقلزم"[19]

[18] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص63.

ويعمد البرواني إلى إثراء النص الرحلي بالمعلومات الجغرافية، والتاريخي، والأدبية، وكذلك اللغوية، حيث كانت نسبة البحر الأحمر إلى هذه المدينة العريقة. وأورد الرحالة الرواية القائلة بأن هذا المكان قد غرق فيه فرعون وجنوده[20]. وقد وجد الرحالة في ميناء السويس حوضا عظيما لإصلاح السفن، وأرصفة لرسو السفن الكبيرة، يتم فيها شحن البضائع، وإخراجها من الميناء. ويربط الميناء بالمدينة خط سكة الحديد. وفي السويس شاهد البرواني مجموعة من الأبنية الجميلة، وفيها انتظمت الشوارع على الطراز الحديث آنذاك. وبالقرب من السويس في الجزء الأسيوي، شاهد الرحالة وادي التيه، وهو المكان الذي تاه فيه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر. وبالقرب من هذا الوادي توجد العيون المائية التي شقها موسى عليه السلام[21].

يظهر حسُ الرحالة في نظرته إلى الآخر المشابه من خلال محاولة المقارنة بين ما لديه من أرض، وصناعات، وعادات مع ما لدى الآخر بالمثل. ونجد هذه الملكة لدى البوسعيدي، وذلك عندما رأى مصر من أعلى القلعة، فوجدها " بلدة عظيمة على الوصف، وزيادة"[22]، ثم قارنها ببلاده زنجبار التي هي مع ما تحتويه من بيوت لا تساوي في السعة والقيمة محلة من مصر. ثم أردف ذلك قائلا ب "بأنها بلدة يكل البليغ عن وصفها، وليس الخبر كالعيان"[23].

وصف أبو الحارث البرواني مصر وصفا جغرافيا حذقا يدلل على البراعة الهندسية التي يكتسب بها النص الرلحي العماني في شرق إفريقيا. نجد ذلك في وصفه لجغرافية مصر، حيث ذكر الرحالة بأنها " مملكة قديمة واقعة في شمال القارة الأفريقية الشرقي"[24]. ثم وصف البيئة الزراعية للأراضي المصرية، ثم أعطى للمتلقي صورة عامة لجغرافية هذه الأراضي، وذلك بتقسيمها إلى قسمين هما: الوجه القبلي، والوجه البحري. وبعد رفع هذه الصورة الشاملة إل مخيلة المتلقي، شرع في تقديم توصيف جغرافي لكل من الوجهين. ففي الوجه القبلي يمكث الصعيد ممتدا من أسوان إلى القاهرة، وهذا الوجه صوره الرحالة على شكل مستطيل من الأراضي الزراعية التي يمر في وسطها، وذلك وصف مثر، وعجيب فهذه الأراضي" يحدها من جهة الغرب جبال ليبيا، ومن جهة الشرق الجبال الغربي"[25]. إن هذا المستطيل المتخيل في النص الرحلي للبرواني يضم في حدوده سبع مديريات هي: الحدود، وقنا، وجرجا، والمنيا، وبني سويف، والجيزة. وخارج هذه المستطيل تقع المديرية الثامنة في الوجه القبلي، ألا وهي مديرية الفيوم التي تتموضع بجزء من الجبل الغربي محاذاة لمديرية الجيزة[26].

---

[19] قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان:

برح الخفاء فأيُ ما بم تكتم ولسوف يظهر ما تسرُ فيعلم
حمِلت سقما من علائق حبها والحب يعلقه السقيم فيسقم
علوية أمست ودون مزارها مضمار مصر وعابد والقلزم

انظر: صفي الدين بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، مج3، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م، ص117.

[20] انظر: محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص63، وانظر أيضا: صفي الدين بن عبد الحق البغدادي، المصدر نفسه، ص117.

[21] انظر: المصدر نفسه، ص63.

[22] المصدر نفسه، ص57

[23] المصدر نفسه، ص57.

[24] م المصدر نفسه، ، ص67.

[25] المصدر نفسه، ص67.

[26] المصدر نفسه، ص67.

إن هذا النثر البديع يصنع لنا خارطة تفصيلية، مستخدما الكلمات بديلا للإحداثيات، ومفاتح الخرائط الجغرافية، وهو أمر يقرب الصورة الجغرافية إلى المتلقي بأسلوب سهل ممتنع. أما الوجه البحري"، وهو الجزء الأهم"[27] عند البرواني، فقد صوره النص الرحلي على شكل مثلث: يتموضع رأسه خلف مدينة القاهرة، وتتموضع قاعدته على شواطئ البحر الأبيض، متجهة من الشرق إلى الغرب من العريش إلى مريوط. ويضم هذا المثلث ست مديريات، وهي قليوبية، والشرقية، والدهقلية، والمنوفية، والغربية، والبحيرة[28]. إن الباث في هذا النص الرحلي ليدفع بالمتلقي إلى تشكيل صورة جغرافية جميلة لمناطق الوجه البحري، وهي تتراءى أمام ناظريه جلية دون عتمة، أو مانع.

وصف البرواني طقس مصر بالاعتدال، إلا أن الطقس يسوء خاصة في فصل الصيف، وذلك عندما تصل درجة الحرارة حتى تتحول الرياح إلى سموم نهارا، إلا أن نسمات الشمال ليلا تلطف الجو، وتبرده. وقد عمد البرواني إلى تقريب هذه الصورة إلى المتلقي في مسقط رأسه بزنجبار الذي ألف البرودة، والجو الجميل، وذلك بقوله:" إلا أنه في بعض الأحيان قد لا يحمده من ألف بلادنا، وخصوصا في الصيف"[29]. وهنا تكمن براعة النص الرحلي، فالرحالة ابن بيئته، وهي أقرب إلى وضعها موضع القياس في وصف مكونات الآخر، إضافة إلى أن ضرورة الحتمية في كون المجتمع المحلي الذي ينتمي إليه الرحالة سيكون أول المتلقي لهذا النص الرحلي بعد نشره، لذلك له حق السبق في التمثيل بما لديه من مكونات غير مادية مثل الطقس الجوي السائد في البلاد المزارة من قبل الرحالة.

إن مما يميز النص الرحلي لدى البرواني، هو اهتمامه بذكر أعدا السكان في المناطق التي يزورها، وذلك ما نجده في وصفه لمصر، فقد بلغ عدد السكان" حسب التعداد الأخير نحو(9,734,405) نسمة"[30]، ولا يكتفي بذللك بل أورد عدد الذكور، وعدد الإناث من جملة عدد السكان.

وقد قسَم البرواني السكان في مصر من حيث نمط العيش إلى " حضريين، وعربان، ورعايا الدولة العلية، وأجانب"[31]. ثم فصَل في أجناس السكان المحليين أثناء زيارته لمصر، وذلك إلى قليل من القبط، وأبناء الروم، والأتراك، والأكراد، والفرس، والسوريين، وأبناء العرب الفاتحين، وغيرهم، " ولم يبق من الجنس الأصلي الخالص سوى قليل من الأقباط"[32].

كما اهتم البرواني بالمنتجات الزراعية في مصر خلال فصل الصيف، فذكر لنا أشهرها، مثل القمح، والشعير، والذرة، والأرز، والفول، والعدس، والحمص، والحلبة...الخ إضافة إلى الخضروات. أما أشهر المنتجات من الفواكه، فهي التمر، والعنب، والنارج، والتين، والموز[33].

---

[27] المصدر نفسه، ص67.

[28] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ، ص67.

[29] انظر: المصدر نفسه، ص68.

[30] المصدر نفسه ، ص68.

[31] المصدرنفسه، ص68.

[32] المصدر نفسه، ص68.

[33] المصدر نفسه، ص69.

وفي معرض وصف الفواكه، ذكر البراوني فاكهة المانجو، وهنا يقرب الرحالة هذه التسمية إلى المتلقي في زنجبار، وذلك بذكر الاسم االدارج لهذه الفاكهة هناك، وهو الأمبا، ووصفه البرواني بالقلة في مزارع مصر، وفي هذا إشارة إلى وجودها بكثرة في شرق إفريقيا. ولم يكتف الرحالة بذلك، بل ذكر القيمة السوقية لحبة المانجو في أسواق مصر، فهي تساوي ثلاثة غروش صاغ، التي يساويها نصف روبية العملة السائدة في شرق إفريقيا[34].

إن هذا المقياس الطبيعي لدى الرحالة في تقريب الصور المختلفة التي يشاهدها في أراضي الآخر المختلف، ليضيف إلى النص الرحلي نكهة جميلة لدى المتلقي الذات في الأرض الواحدة، وفي هذا الأسلوب أيضا نجد تقديرا خاصة للمتلقي، وتشجيعا له على قراءة هذه الآثار الجميلة من أدب الرحلة، وذلك بذكر شيئا من المكونات القريبة إلى ثقافته، وحياته.

أعجب البرواني بمدينة القاهرة، وقد وصفها بأنها " أعظم مدينة في الديار المصرية، والقارة الإفريقية"[35]. ويبلغ عدد القاطنين في القاهرة ستمائة ألف نسمة " بين وطنيين وأجانب"[36]. وقد صور المتن الرحلي القاهرة بأنها " مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق، ذات شوارع فخمة، أكثرها قائمة في وسط حدائق غناء، وجنائن فيحاء، وبها عدة جوامع شهيرة، وآثار أثيرة، ومشاهد مباركة، وحدائق ناضر، ورياض زاهرة"[37].

زار البرواني بورت سعيد، وهو في طريقه إلى بلاد الشام. وقد وصفها بأنها " مدينة حديثة"[38]، وهي من الموانئ المهمة على البحر الأبض في مدخل القنال. وقد أدرك البرواني التقسيم الذي تميزت به بورت سعيد من قسمين: أحدها يسمى بحارة العرب، تحتوي السكان الوطنيين. أما القسم الآخر فيسمى بحارة الفرنج يسكنه الأجانب. ويبلغ عدد سكان القسمين اثنين وأربعين ألفا وثلاثمائة وثمانية وعشرين نسمة[39].

وفي بورت سعيد واجه البرواني موقفا عصيبا مع صاحب فندق يسمى امبريال، وقصَ الرحالة خبر هذا الموقف، وهو يشعر بالظلم، والحسرة. وفي هذا الموقف دفع أحد المحتالين بالرحالة إلى المكوث في هذا الفندق؛ حيث تورط بصاحبه الذي مارس الابتزاز، والسلب دون حياء، فقد عمد إلى مخالفة ما اتفق عليه من الأجرة اليومية مع البرواني، وذلك بزيادة المبلغ المتفق عليه أضعافا كثيرة، الأمر الذي أغضب الرحالة كثيرا، " فتبا له من مخادع[40]". وخلص البرواني بناء على هذه الحادثة إلى إطلاق حكمه العام على معظم أهالي بورت سعيد في سوء المعاملة كصاحب الفندق، إلا البعض منهم، " وقليل ما هم[41]".

---

[34] المصدر نفسه، ص69.

[35] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص70.

[36] المصدر نفسه، ص70،

[37] المصدر نفسه، ص70-71.

[38] المصدر نفسه، ص118.

[39] انظر: المصدر نفسه، ، ص118-119.

[40] المصدر نفسه، ص119.

[41] المصدر نفسه، ص119.

شاهد البرواني ما تبقى من القلعة، وهو السور الخارجي من جهة الشرق، ومجموعة من الأبراج[42]. وقد أدهش البرواني وجود بئر عجيبة الشكل، قيل له :أن صلاح الدين أمر بحفرها مع بناء القلعة، وتعرف هذه البئر ببئر يوسف، يستطيع الزائر النزول إليها بواسطة درج محكم الصنعة، تم نحتها في جدار البئر[43]. يظهر هذا الوصف الدقيق لهيئة البئر، الدقة العلمية التي يتبعها النص الرحلي العماني في وصف آثار الآخر المشابه، مثلما هي ظاهرة على أرض الواقع، والبعد عن الروايات المتوارثة حول الأثر، والتي لا يوجد ما يؤكد صدقيتها.

المبحث الثاني: النهضة العمرانية، والصناعية للآخر المشابه.

أولا: النهضة العمرانية.

توضح النصوص الرحلية العمانية اهتمام الآخر العربي المشابه بتخطيط المدن الحديثة، وتنظيمها بتهيئتها لتكون مناسبة لأنماط العيش المتمدن الذي أخذ يستفحل في جميع المدن الآخذة بأسباب الحضارة الحديثة. وتوضح النصوص الرحلية تأثر الرحالة بالتطور الحضري الذي تميزت بها المدن العربية في ذلك الوقت. ولقد اهتمت النصوص الرحلية العمانية بوصف مكونات المدن المزارة من أماكن عبادة كالمساجد، والكنائس، بالإضافة إلى أسواق، وحدائق، ومنزهات، وحوانيت، ومتحف، ومكتبات. وفي وصف هذه المناطق من ديار الآخر العربي، ما يعكس الطبيعة التي يتثملها هذا الآخر المشابه من ذوق، وسجية، وطريقة عيش. ففي الأسواق، والحوانيت، يجد الرحالة ما يأكله الآخر المشابه له، وما يلبسه، وما يستمتع به من حوائج أخرى. وفي الحدائق، والمنتزاهات يمكن الرحالة ملاحظة عادات، وسلوك الآخر عن كثب. وفي المتاحف يشاهد الرحالة ما خلفه أجداد الآخر المشابه من تراث. وتمثل المكتبات عنصرا مهما من عناصر تطور الفكر العلمي لدى الآخر المشابه. ويمثل النص الرحلي العماني مثلا رائعا لغناه الكبير بوصف هذه المناطق المهمة في وصف الآخر المشابه.

1. دور العبادة.في وصف أماكن العبادة اهتم الرحالة العمانيون بزيارة أماكن عبادة الآخر المشابه، فهذه العمارة تنتمي إلى النهضة العمرانية، وسنبدأ أولا بوصف، وتحليل النصوص الرحلية المتعلقة بالمساجد لما لها من رمزية دينية، وحضارية لدى الآخر المصري.

اهتم النص الرحلي العماني في شرق إفريقيا بوصف مساجد القاهرة التي قال عنها أبو الحارث البرواني بأنها" أكثر بلاد الله مساجد"[44]. ومن علامات هذه الكثرة أن يوجد ثلاثة، أو أربعة مساجد في مكان واحد[45]. وقد أعجب البرواني بجامع الرفاعي أيما إعجاب" فلهذا الجامع من التأنق، والغرابة ما يعجز عن وصفه الواصفون". ونقل الرحالة صورة واقعية لمبنى من الخارج، والداخل؛ فجدرانه من الرخام ذي الألوان الطبيعية" ما يقيد الأبصار حسنا، وجمالا"[46]، وأعمدة الجامع من المرمر، مزينة بالزخرفة، والجامع مفروش بالطنافس النفيسة[47].

---

[42] المصدر نفسه، ، ص81.

[43] المصدر نفسه، ص81.

[44] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص80.

[45] المصدر نفسه، ص80.

[46] المصدر نفسه، ص81.

[47] انظر: المصدر نفسه، 81.

كما احتفى النص الرحلي لأبي الحارث البرواني بوصف الجامع الأزهر الذي عدَه بأنه أشهر الجوامع ، و أقدم المدارس في الإسلام[48]. وقد سطر الرحالة معلومات قيمة لما شاهده في هذا الجامع البديع؛ فهو يضم مكتبة تحوي نحو عشرين ألف مجلد. ويبلغ مجموع المعلمين بالجامع خمسمائة وسبعة وثمانين معلما، وعدد الطلبة به أربعة عشر ألفا وتسعمائة وتسعة وخمسون طالبا. ومن طرائف هذا الوصف، اهتمام الرحالة بذكر ما ينفق على الجامع من الخبز، وهو أحد عشر ألفا وستمائة وأربعة وسبعون رغيفا، وذلك بالإضافة إلى الميزانية السنوية بمبلغ سنوي يبلغ ثلاثة عشر وثمانمائة وتسعة جنيهات[49]. ويمكن للباحث التساؤل حول اهتمام الرحالة بتدوين هذه المعلومات الدقيقة حول الأزهر، وهي معلومات لا يهتم بها القارئ عادة، وقد تكون دافعا للملل أثناء القراءة. والذي يظهر للباحث أن البرواني يوجه هذه المعلومات إلى الجهات المختصة بالتعليم، والابتعاث الخارجي في بلاده، وذلك أنه لا يخلو أن يكون في مثل هذه المدارس الشهيرة طلاب مغتربون من شرق إفريقيا لنيل العلوم المختلفة في اللغة، والعقيدة، وغيرها. وبذاك يكون البرواني قد حقق منجزين بإيراد هذه البيانات الدقيقة: أولهما إظهار ما يقوم به الأزهر من الجهود لإدامة سير العمل الأكاديمي فيه. والمنجز الآخر، وهو غير مباشر يهدف إلى دعوة الحكومة في زنجبار، وأهل الخير من إثرياء الجزيرة، والشرق الأفريقي إلى التبرع بالمال إلى إدارة الجامع لما في ذلك من خير للأمة الإسلامية بنشر العلم بين أبنائها.

ولم يكتف الرحالة بذكر ما يمتاز به الجامع، ومدرسته العامرة، بل تطرق أيضا إلى ما رآه عيوبا يجب تصحيحها من قبل القائمين عليه. من ذلك بيَن البرواني عدم رضاه عن العناية بالنظافة في الأزهر؛ فقد شاهد حصره ملطخة بالمداد، وقد امتلأت بالغبار حدَ الاسوداد. ويرجع البرواني ذلك إلى قلة عناية الطلبة بالنظافة[50]. كما انتقد المنهج المتبع في التعليم، والذي يقتصر على علوم الشريعة، واللغة العربية، وذلك بالمقارنة مع المناهج المقررة في الماضي، والتي اشتملت على جميع كافة العلوم العقلية، والرياضية، وعلم تقويم البلدان، وعلم الطب، وغيرها من العلوم[51]. يأتي هذا الرأي من قبل الرحالة في ميدان الغيرة على مصالح الأمة الإسلامية، وهو يرمي إلى تطوير هذه المصالح بما فيها مراكز التعليم لتكون حاضرة من الحواضر المتقدمة، والتي يؤمها التلاميذ من مختلف الأقطار المسلمة. كما تدل هذه النظرة النقدية على الثقافة الحديثة التي يتمتع بها البرواني، كما تدل على المجتمع المتقدم الذي جاء منه، وهو مجتمع احتضن حضارات، وشخصيات علمية، واقتصادية عديدة ساهمت في الرقي به إلى مصاف الأمم، والشعوب المتحضرة في ذلك الوقت.

كما وصف البرواني هذا الجامع بأن موقعه في وسط القلعة، وهو " من أجمل العمائر"[52] عند البرواني، يتميز بقبته السامة في الهواء، مع أربع قباب تحتها، ويوجد بالجامع مأذنتان رائعتان، يمكن للرائي مشاهدتهما من جميع نواحي المدينة[53].

زار أبو الحارث البرواني جامع الفسطاط، وعاينه من الداخل، وهو جامع كبير قديم البناء، غير مزخرف، بني عام 21هـ بطول خمسين ذراعا، وعرض ثلاثين ذراعا، وبيَن البرواني بأنه يحتفل فيه سنويا بصلاة آخر جمعة من رمضان[54].

---

[48] المصدر نفسه، ص83.

[49] المصدر نفسه، ص83.

[50] انظر: محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص83.

[51] انظر: المصدر انفسه، ص83.

[52] المصدر نفسه ، ص80.

[53] المصدر نفسه، ص80.

[54] انظر: المصدر نفسه، ص104-105.

2. الحدائق، والمنتزهات. اهتمت النصوص الرحلية العمانية بوصف الحدائق، والمنتزهات في المدن العربية المزارة، وهي مكون أساس من مكونات البيئة الحضرية في المدن الحديثة. ومن الأمثلة على الحدائق، والمنتزهات نجد ساحة المنشيّة التي أخذت بألباب الرحالة العمانيين القادمين من شرق إفريقيا.

أبدى البروازي إعجابه الشديد بمنتزهات القاهرة، ولقد خصَ هذه الحديقة بوصف جميل، وأكثر ما شدَ انتباه الرحالة فيها مساحتها العظيمة في وسط المدينة، إضافة إلى ما يحيط بها من قصور، وفنادق، ومقاه. وتحافظ الحديقة على حدودها بسور من الحديد، وبه أربعة أبواب مقضية إلى الحديقة من الجهات المختلفة. ولقد أشاد البروازي بمنظر الحديقة العجيب، والذي يقوم على تنظيم الأشجار بها، وظلالها الوارفة، ومقاعدها الموزعة على حواف طرقاتها. كما يقام بها عزف للموسيقى مرة في كل أسبوع[55].

وشاهد البروازي مواضع مخصصة للتزحلق، ووصف كيفيته بأن يلبس الإنسان نعلا ركبت به العجلات، ثم تجري به النعل دون أن يحرك رجليه، وتجرى في سبيل ذلك منافسات، ومسابقات[56]. إن هذا الوصف العجيب للحديقة، وما يقام بها من فعاليات لراحة المرتادين ليؤكد بحق على وقاعية النص الرحلي العماني؛ فقد تعايش الرحالة مع المجتمع بكل مكوناته، واستطاع بكل حياد أن ينقل للمتلقي الأول هناك في جزيرة زنجبار ما شاهده بعينيه، وما استمع إليه، وهو يركز عدسة النقل لديه على ما هو يعز وجوده في جزيرته الصغير، وربما في شرق إفريقيا في تلك الفترة من الزمن. ولربما يجد بعض القراء في وقتنا الحاضر أنه من السذاجة تركيز الرحالة على آلة التزلج التي تجمع بين النعل المستخدم في مسقط رأس الرحالة، وبين العجلات والتي هي أيضا مستخدمة في مختلف الآلات في بلاده أيضا، ولكنه من العجيب، والغريب أن يرى وسيلة التنقل الفردي تجمع بين هذين الشيئين المذكورين معا. وهذا هو ما يقوم عليه أدب الرحلات، وهو نقل ما هو مختلف، وغريب على ثقافة الرحالة، ومجتمعه الذي سيتلقى هذه المدونة الرحلية في نشرها الأول[57].

جزيرة بولاق. أعجب البروازي بهذه الجزيرة أيما إعجاب، كيف لا " فكلها رياض، وغياض، تستميل الأبصار حسنا، وتنشرح برؤيتها الصدور"[58]. وقد شاهد الرحالة ارتياد الأهالي لهذه الجزية يوميا، خاصة في يوم الأحد، حيث المرح، والتنزه. وقد زينت الجزيرة بالمقاعد الخشبية، والمقاهي، وأماكن الألعاب. وقد وصف البروازي طرق الوصول إلى الجزيرة، وذلك عبر جسرين: أحدهما بإزاء بولاق، والآخر بقصر النيل[59]. ولاحظ البروازي أن الجسر الثاني يزدحم بالمرتادين وقت العصر، وعلى طرفي الجسرين ركبت اسطوانتان عليهما تمثال للأسد. وقد استمتع الرحالة بقضاء ساعات في الجلوس على رصيف بجانب جسر قصر النيل[60] وهنا شاهد الرحالة الأثرياء من الرجال والنساء وهم في كامل الفخر بما " فوقهم من اللباس، وبما تحتهم من المركوب، والتيه والعجب يلمعان من وجوههم"[61]، وما أثار تعجب البروازي مشاهدة "النساء يخطرن، وهن متبرجات"[62].

---

[55] انظر: محمد بن علي بن خميس البروازي، المصدر السابق، ص78.

[56] انظر: المصدر نفسه، ص76.

[57] نشرت رحلة أبي الحارث لأول مرة في مطبعة النجاح في زنجبار عام 1915م، أي في العام التالي من وصول البروازي إلى زنجبار. محمد بن علي بن خميس البروازي، المصدر السابق، المصدر السابق، ص21.

[58] المصدر نفسه، ، 79.

[59] انظر: المصدر نفسه، ص79.

[60] انظر: المصدر نفسه، ، ص79.

[61] المصدر نفسه، ص79.

[62] المصدر نفسه، ص79.

تظهر ذات الرحالة في هذا الموضع من النص الرحلي، هذه الذات التي تضيف إلى ما تشاهده شيئا من النقد الثقافي الذي نشأت عليه، حيث يظهر التأثير الديني المحافظ لدى الرحالة، وما اصطبغ به من أخلاق، ومثل هي سائدة في مجتمعه المحافظ بشرق إفريقيا.

3. الأسواق، والجوانيت، ودور السينما. برزت الأسواق العربية في النصوص الرحلية العمانية، وذلك بحوانيتها المتعددة، وبضائها، المتنوعة، وروائحا الزكية، وبنيانها المعماري الخلاب. في القاهرة، أعجب البرواني بالمحلات التجارية، ووصفها بأنها تضم الملابس الحسنة، والحلي النفيسة، والتحف. ووصف العاملين في هذه المحلات بأنه يتمتعون باللطف، ولين الجانب" مما يدعو الشاري على الإسراف في الشراء"[63]. وأبدى البرواني تعجبه من قيام كثير من هذه المحلات التجارية باستخدام عاملات حسناوات من الإفرنجيات، وذلك لغرض جذب الزبائن إلى التبضع منها، "

فإذا دخلت دكانا حرت بين أن تنظر إلى البائعة، أو إلى البيَاعة"[64]. كما وصف البرواني دار التمثيل في القاهرة، والمسمى الأوبرا، فقد رآه الرحالة قصرا فخيما، وبنيانا شامخا، وهو لا يفتتح إلا في الشتاء[65].

4. القصور، والبيوت الملكية. اهتم النص الرحلي العماني بوصف القصور المزارة. ويمثل وصف القصور، والبيوت الرئاسية موضوعا فريدا من نوعه، تفرَد بوصفه الرحالة المصاحبون لسلاطين زنجبار في رحلاتهم إلى البلدان العربية المختلفة، حيث يحلَون ضيوفا مكرمين على الملوك، والرؤساء العرب[66].

زار أبو الحارث البرواني قصر النيل الذي يمتد على مساحة واسعة جدا، وذلك على ضفة النيل. وكان هذا القصر زمن زيارة البرواني لمصر مهيأ لسكن العساكر[67]. ووصف البرواني منازل الأغنياء بأنها جميلة جدا، فهي محكمة البناء، ومبلطة بالرخام، وتمتاز بالنقوش الجميلة، ولها مراحيض نظيفة، ومرتبة. وبجانب كل بيت يبنى محل للجلوس، واستقبال الضيوف يسمى سلملك[68]. ويتخذ بعض أصحاب هذه المنازل مراكب في نهر النيل تسمى المذهبيات، وهي تستعمل خلال فصل الصيف، هربا من الطقس الحار[69].

---

[63] انظر، محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص73.

[64] انظر، المصدر نفسه، ، ص73.

[65] المصدر نفسه، ص73.

66 تضمن النص الرحلي لزاهر بن سعيد وصفا دقيقا لمجموعة من القصور في مصر التي زارها بمعية السلطان برغش بن سعيد؛ من ذلك وصف جميل لأحد القصور الذي أعدَ لإقامة السلطان برغش. وفي هذا الوصف يبدأ الرحالة بوصف الشكل العام لمبنى القصر، فهو"دار كبيرة ذات طبقات عديدة ، ثم يصف النص الرحلي الزخارف، والمفروشات الفاخرة في هذه الدار، وما تتزين به من ثريات جميلة، وما تحتويه من وسائل الإنارة من قناديل كبيرة. كما شاهد الرحالة مجموعة من "الكراسي والأسرّة المموّهة بالذهب إلى غير ذلك مما يليق بمقام الملوك" وبعد الانتهاء من وصف القصر ينتقل الرحالة إلى وصف حديقة القصر المتميزة بالسعة، والأشجار العالية، والأزهار النضرة . حمود بن أحمد البوسعيدي، (2006م)، الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم، مراجعة وتقديم : محمد المخروقي،(مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط1، 2006م)، ص265.

67 انظر، محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ، ص74.

[68] انظر: المصدر نفسه، ص92-93.

[69] انظر: المصدر نفسه، ص94.

5. المتاحف

وصف النص الرحلي لأبي الحارث البرواني متحف الآثار القديمة أنتيكا خانة، وذلك كي يعرف المتلقي بهذا المزار المهم بأنه" أجمل متاحف الدنيا"[70]، وهو يتضمن " مخلفات فراعنة مصر"[71]. ومن حيث البناء، هو قصر" بديع الاتقان، عظيم البنيان، من أفخر الأبنية وأضخمها، وأجلها"[72]. ورأى البرواني ما يحتويه المتحف من قاعات متعددة، ومليئة بالآثار النفيسة. وقد قدم الرحالة صورة حية لمحتويات المتحف في كل دور من أدوار البناء. ففي الدور الأسفل، تحفظ الآثار الكبيرة مثل تماثيل ملوك الفراعنة، وصفائح قبورهم، وتوابيت حجرية، وأجزاء من المباني الأثرية خلال الأعوام من خمسة آلاف إلى ثلاثة آلاف وأربعين قبل الميلاد. أما الدور الأعلى، فيعرض فيه مجموعة من الأواني، وأثاث الطباخة، وأدوات الموتى عبر العصور المختلفة. وقد نقل البرواني في هذا النص الرحلي دهشته من مشاهدة جثامين محنطة للفراعنة، ومنهم جثة منفتاح فرعون موسى[73].

وقد استشعر الرحالة الوعد الإلاهي لهذا الفرعون، والمتمثل في تنجية بدنه ليكون آية للعالمين، وذلك في قوله تعالى: " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ"[74]. ومما لاحظة الرحالة أن اسم الفرعون مكتوب بالهيراطيقي على موميته[75].

كمل زار البرواني دار الآثار العربية في شارع محمد علي، وهذا المتحف يحتوي على الآثار الرخامية، والحجرية، والنحاسة، والخزفية، والتي تعود إلى زمن محمد علي باشا. وقد رأى البرواني في هذا المتحف أيضا سيفا لمحمد علي باشا، ودرعه، وخوذته، وقميصه، وبعض ثيابه التي أثرَ فيها البلى، بالإضافة إلى سيف يعود لابن إبراهيم باشا[76].

ثانيا: النهضة الصناعية لدى اللآخر المشابه.

اهتم الرحالة العمانيون بوصف النهضة الصناعية لدى الآخر المصري، وذلك لما في ذلك من فوائد تعود على المجتمعات العمانية في شرق إفريقيا التي كانت تطوق إلى اقتفاء الآخر المصري في طريق النهضة الصناعية الحديثة

تضمن النص الرحلي العماني وصفا بديعا لوسائل النقل الحديثة التي يستخدمها المصري. ففي القاهرة، ذكر البرواني وسائل النقل المستخدمة في أكثر الشوارع؛ منها المركبات الكهربائية(الترامواي).[77]

---

[70] المصدر نفسه ، ص76.
[71] المصدر نفسه، ص76.
[72] المصدر نفسه، ص76.
[73] انظر: المصدر نفسه، ص76.
[74] سورة يونس، الآية 92.
[75] المصدر السابق، ص77.
[76] المصدر نفسه، ص76.
[77] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ص71.

المبحث الثالث: المشاهد الدينية، والعادات، والتقاليد، والأعراف للآخر المصري.

تمثل النصوص الرحلية العمانية في شرق إفريقيا مخزنا ثريا لمشاهدات الرحالة في أراضي المصري، والتي تنوعت بين المشاهد التي تتصل بالمعتقدات الدينية، والمواضع الثقافية، التي يتصطبغ بها الآخر المشابه في معاشه، وسائر أحواله. وتعرف العادات اصطلاحا بأنها" مجموعة من الأفعال، والأساليب، والسلوكات المكتسبة التي يتوارثها الخلف عن السلف، وترتبط بزمان، ومكان معينين"[78]. وللعادات أهمية عظيمة لكونها تمثل " الدعائم الأساسية التي ينبني عليها التراث الثقافي في كل بيئة"[79]. وتشمل العادات كل ما يتبعه المجتمع من " عادات ثقافية، وأعراف، ومحرمات، وسنن، وتقاليد، وشعائر، وطقوس، ومراسيم"[80].

أما التقاليد فتعرف بأنها" عادات مقتبسة رأسيا أي من الماضي إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهي تنتقل، وتورث من جيل إلى جيل، ومن السلف إلى الخلف على مر الزمان" وتتميز التقاليد عن العادات في "كونها أقل إلزاما منها، يتم تناقلها بانتقاء، وذلك في مقابل العادات التي تتميز بالإلزام، وعند عدم مراعاتها، واتباعها بقوة الجزاء"[81].

وتختص التقاليد في الغالب بإقليم معين، أو طبقة معينة، أما العادات فيجسدها الأفراد في مختلف طبقات المجتع. أما العرف، فهو" ذلك النوع من العادات الواسعة النطاق في انتشارها، التي ليست في مصلحة جماعة بالذات، بل في مصلحة الجماعات كلها، متلاقية في وحدة واحدة هي المجتمع، أو الأمة"[82]. وتمثل الأعراف مصدر قوة للقانون في "منع الجريمة، والانحراف، والمساعدة على نشر الفضيلة، والخير"[83]. وتتميز الأعراف بأتها " أشد قوة، وإلزاما من العادات نظرا لارتباطها بنواح عقائدية يؤمن بها المجتع"[84].

تطرق النص الرحلي العماني إلى وصف مجموعة من المشاهد الدينية، والعادت والتقاليد، والأعراف لدى الآخر المصري. وفيما يلي تحليل لأهم هذه المواضيع.

لاحظ أبو الحارث البرواني أن أهل مصر يحتفلون به بفيضان النيل مرة في كل عام، وفي هذا الحفل يخرج الأهالي إلى شاطئ النيل لمشاهدة الاحتفال، حيث يركب المسؤولون في الحكومة سفينة شراعية مزخرفة، ومزينة بأعلام الدول، وهذه السفينة تجرها سفينة بخارية على طول النهر. وفي المساء تقيم الحكومة مأدبة للضيافة في خيمة يدعى لها أعيان البلد[85].

---

[78] إسعد فايزة، **العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية لعادات الزوج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجا**، رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2011-2012م، ص26.

[79] لزهر مساعدية، في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات. التقاليد. الأعراف)، **مجلة الذاكرة**، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع9، جوان، 2017م، الجزائر، ص 36.

[80] المرجع نفسه، 36.

[81] لزهر مساعدية، المرجع السابق، ص37

[82] فوزية ذياب، **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص186.

[83] لزهر مساعدية، المرجع السابق، ص36.

[84] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ،37.

[85] انظر: المصدر نفسه، ص98.

وقد تضمن النص الرحلي لأبي الحارث البرواني وصفا لبعض العادات المتبعة في مقاهي القاهرة التي تمتاز بكثرتها، وكثرة المرتادين لها يوميا إلى ثلثي الليل، وهو يوجه الخاطب في وصف هذه العادات إلى المتلقي، وذلك في مشهد تمثيلي جميل، يحل في المتلقي محل الرحالة، فهو يقول:" فإذا دخلت قهوة منها، وجلست على كرسي، جاءك الخادم (الذي يعمل في تقديم الطعام) بكوب من النحاس، وفنجان، وسكر، صبَ القهوة بمرأى منك"[86]. ويقدم البرواني رأيه في مذاق القهوة القاهرية بأن " قهوتهم لا يحسنها من ألف قهوة بلادنا"[87]. وهنا تظهر الذات منتصرة على الآخر كما هو متوقع في أي مشهد تصويري. ثم ينتقل البرواني بنا إلى مشهد تمثيلي آخر يتبوأ فيه المتلقي موقع الرحالة، وستكون الأحداث داخل مطعم قاهري، وفي هذا المكان سيبرز الرحالة العادة المتبعة في التعامل مع الزبون، فيقول:" فإذا دخلت مطعما فأول ما تجلس يأتيك الخادم بأدوات الأكل، من فوطة، وملعقة، وسكين، وغير ذلك، ثم بدفتر مكتوب فيه أسماء الطعام باللغتين العربية، والفرنساوية، فتختار ما تشاء. فإذا فرغت من الأكل أتاك الخادم، وأنقدته قيمة ما أكلت. وأغلب ما يبتدأ في غذائهم الشوربة، ويختم بشيء من الحلو، أو الفواكه"[88]. لقد أتقن الرحالة في هذين المشهدين تقديم صورة واضحة لبعض العادات المتبعة في المقاهي، والمطاعم القاهرية، أو يمكن أن نطلق عليه آداب المائدة، وذلك بالاعتماد على الوصف التصويري الجذاب، الذي أدى دور نقل الواقع الحقيقي الذي تقوم به وسائل التصوير الحديثة في وقتنا هذا. كما أظهر البرواني براعة منقطعة النظير في الجمع بين النثر الجميل، والنزول إلى مستوى المخاطب العادي في حيث هو أقرب إلى الحوار الشفوي العادي الذي يكون عادة في الجلسات غير الرسمية في المجالس العمانية اليومية. كما يستشعر المتلقي أثناء قراءة هذا الوصف للعادات المتبعة في آداب المائدة، أن الباث يقدم دليلا سياحيا ناتجا عن تجربة شخصية لمن عقد العزم على زيارة القاهرة يوما ما.

وفي باب المتولي الذي يقع محاذيا لجامع المؤيد في القاهرة، لاحظ البرواني أن لبعض الأهالي اعتقادات، وأوهام فاسدة، حيث إنهم يتباركون به بالتقبيل في شكل من الخشوع، والخضوع، ويقرأون عنده الفاتحة، ويعلقون على مساميره ألوية بيضا، وحمرا، وسودا. وهم يؤمنون بأن المتولي يحضر إلى هذه الباب. وعلى الباب يقوم أحد الدراويش لأخذ النذور[89]. في هذا المشهد تصطدم الأنا مع الأنا المختلف اعتقادا. فالرحالة نقل الحدث بكل مصداقية حسبما شاهده، ولكن ذلك لم يثنه عن رسم معتقده، وعدم رضاه، لذلك وضع حكمه دون مداراة، وهو أن هذه المعتقدات التي يمارسها البعض عن باب المتولي هي اعتقادات، وأوهام فاسدة، وذلك قياسا على ما نشأ عليه الرحالة من معتقد لا يجيز هذه الممارسات لما فيها من الشرك بالتضرع إلى جماد طلبا لقضاء الحاجة.

ومن العادات التي استحسنها أبو الحارث البرواني، عادة تلاوة القرآن الكريم في مساجد مصر قبل الشروع في الصلاة، غالبا صلاتي الجمعة، والعشاء، حيث يتلو أحد القراء القرآن بصوت جميل، وجذاب[90]. إلا أن الرحالة عبر عن عدم رضاه عن المبالغة في التلحين عند بعض القراء لدرجة تخرجه عن حد الجواز. ومع توارد الأزمان ألف الناس هذه الطريقة، فاتخذوا تلحين القران الكريم نوعا من أنواع الترفيه في الأفراح، والمواساة في المآتم، والأحزان، مما أدى إلى قراءة القران الكريم من " دائرة الوحي النازل بها من عند الله إلى دائرة صناعية يستوي الأمر، والنهي، والزجر الشديدي، والقصص التاريخية، والمواعظ الحسنة، والدعاء، كلها تطبق على نقرات الجركا، والسيكا، والحجازي، والعراقي، وما أشبهه".

---

[86] المصدر نفسه ، ص72.

[87] المصدر نفسه، ص72.

[88] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق، ، ص72.

[89] انظر: المصدر نفسه، ص82

[90] المصدر نفسه ص84.

ومما زاد الأمر سواء، أوضح البرواني بأن ملحني القرآن "[91] تفننوا في طريقة تلحين بالتخنث بالصوت، وإبداء الحركات الغريبة المختلفة في الإلقاء بما أخرجه من كونه قرآنا إلى الغناء المحض". وفي هذه الرؤية النقدية للبرواني، نجد عدم رضا الأنا عن الآخر الذي طور مستوى جديد في قراءة القران الكريم العامل المشترك بين الذات والآخر، فكلاهما يؤمنان بهذا الكتاب المقدس، وكلامهما يتلوانه بطرق مختلفة، وهنا تعجبت الأنا بهذا النوع من التلاوة الذي يقترب من التلحين الغنائي.

صوّر النص الرحلي العماني عادة عادة إحياء الموالد في الديار المصرية. في القاهرة عايش البرواني هذه العادة، وقد قيل له بأنه يقام كل عام في القاهرة ما يقارب ثمانين مولدا. ولعامة المصريين إيمان عميق بأهيمه هذه الموالد، ومن فاته أحدها لسبب ما فإنه يدخل في حالة من التشاؤم، ويتوقع أن يقع عليه أمر سيئ[92]. وهاله اجتماع الناس رجالا ونساء خلال عدة أيام في مولد السيدة زينب، حيث توقد السرج كل ليلة بعدد لا يمكن حصره، وذلك على المحلات التجارية، والمنازل المجاورة للمشهد[93]. وقد أبدى البرواني رأيه بأن هذا الازدحام كثيرا ما يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه من سرقة، وخطف، ودهس، وغيرها من المشاكل. وأقل ما يكون من مشاكل في رأي البرواني أن يدفعك أحدهم، أو يطأك بقدميه، وإذا ما حاولت مساءلته يرد عيك بكلمة(معلش) " كأنَ هذه الكلمة عندهم عبارة عن قاض يحكم بينهم، ويفصل في شؤونهم كلما أشكل عليهم أمر، أو قام حادث بينهم، أو أنها تقوم مقام الطبيب ودوائه، أو هي كفيلة برد الشرف المثلوم، والعرض المكلوم"[94].

أستطاع البرواني أن يصنع جسرا من التواصل بين ما شعر به في هذا الموقف، وغيره من المواقف التي تحدث عادة للرحالة، وبين مشاعر المتلقي الذي يستطيع تخيل المشهد، والإحساس بمشاعر الرحالة من هذه المواقف في المجتمعات المزارة.

كما تحدث النص الرحلي لأبي الحارث البرواني حول عادة التدحرج أمام قبر الإمام المغاوري. وقد وصف البرواني هذه العادة الغريبة اتلي لم يشهد مثلها من قبل، حيث قص بينما كان واقفا يتلو سورة الفاتحة أمام القبر، رأى امرأة صعدت على صخرة في نفس الموضع، وقامت بالتدحرج إلى الأرض، ثم جاء رجل فعمل مثلما عملت تلك المرأة[95]. وهذا من عجائب المعتقدات لدى الآخر العربي.

كما شاهد البرواني في طريقه إلى الجيزة مجموعة من الناس " يزمرون، وينقرون دفا بأصوات شجية"[96]، فسأل عنهم، فقيل له بأنهم أهل الطريقة، وهم بذلك يذكرون الله تعالى" فسبحت وحوقلت، فأخذني العجب مأخذه، وعجبت ممن له عقل، ويعتقد أن تلك الأباطيل والأضاليل من الدين"[97].

---

[91] المصدر نفسه، ص87.

[92] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق ، ص90.

[93] المصدر نفسه، 90.

[94] المصدر نفسه، ص9.

[95] انظر: المصدر نفسه ، المصدر السابق، ص89.

[96] المصدر نفسه، ص92.

[97] المصدر نفسه، ص92.

ومن السلوكيات اللغوية التي أبدى البرواني استغرابه منها، قلب المعاني المبتغاة من بعض الجمل الوصفية، حيث يستخدم المصريون بعض الكلمات في غير محلها مثل (شيء لطيف) تقال عند سماع قصة محزنة، أو موقف عصيب مرَ به أحدهم[98].

ومن عادات أهل مصر التي شاهدها أبو الحارث البرواني في الأعياد، أنهم يتبادلون رسائل التهاني، وقلما يتزاورن، وخلال أيام الأعياد، سكن أغلبهم القرافات(المقابر)" فلا أدري لصاحب العيد الفرح والسرور في عيده، وهو بين رفات، وأموات[99]". كما لاحظ البرواني أن أهل مصر يتسمون بالمنافسة في المباهاة بتبذير الأموال في الأعراس لإقامة الأفراح، ومردُ ذلك حسب رأيهم إلى أنه ضرورة من ضروريات الزوج[100].

قارن البرواني بين أهل الريف في مصر، وبين أهل المدن. وصف البرواني أهل الريف بالكرم، واللطافة، والاحتفاء بالغريب، وفيهم رجال الدين بعد العلماء، والنجباء. أما المتمدنون فهم ينتسبون إلى المدنية الغربية، ولم يتخذوا منها إلا القشور. وهم يتنافسون فيما بينهم بحسن الرياش، واللباس، وبياض الهدام، كما أنهم يتصنعون التواضع، والرياء، وفيهم العجب، والكبرياء. ولقد لتحظ البرواني أن أهل المدن يزدرون الغريب، ويستصغرونه، ولا يألفونه" فالغريب فيهم عادم الرفيق، ليس له منهم معين، ولا شفيق[101]".

وصف الخطبة عند المصريين. وصف البرواني طريقة اخيار العروس وخطبتها من قبل العريس. حيث يقوم العريس بتكليف إحدى النساء من أهله أو جيرانه بالبحث عن العروس المناسبة له حسب السمات المطلوبة، وبعد اخيار العروس يبأ الفرح بعدة أيام قبل يوم الزوج. وفي هذا اليوم يحضر العريس مع أهله إلى بيت العروس لأخذها إلى منزله.

ويتم ذلك بنقل العروس على عربة مزينة يجرها أربعة جياد، وتتقدمها جماعة الموسيقى، وخلفها عربات نحمل أهل العروس، والمدعوين. وفي بيت العريس تستقبل العروس، وتجلس على سادة، ثم تتقدم الماشطة التي اهتمت بالعروس بغسل العروس من الولادة إلى ليلية عرسها، وتضع منديلا أمام العروس وتقول: "يا حبايب العروسة، وماشتطتها"، وتقدم أم العروس وتلقي مبلغا من المال فوق المنديل، ثم يأتي المدعون، ويفعلون نفس الشيء، حيث تذهب الأموال المجموعة إلى الماشطة إكراما لها. وبعد ذلك يزفُ العريس أيضا راجعا إلى منزله[102].

وصف عادات المأتم في مصر. وصف البرواني هذه العادة، بانه عندما يعلم موت أحد يتوافد الجيران إلى المنزل، خاصة النساء، حيث بدأن في الصراخ، ولطم وجوههن، وهن يعددن مناقب الميت. ويقوم البعض باستئجار نوادب لندب الميت. ولقد استقبح البرواني من عاداتهم خروج النساء وراء النعش إلى المقابر، وهن حارات الرؤوس، ومشوهات الوجوه" في حال لا يرضى به الشرع[103]" وأوضح البراني بأن عقلاء مصريون يكرهون هذه العادة.

---

[98] انظر: المصدر نفسه، ص91.

[99] محمد بن علي بن خميس البرواني، المصدر السابق ص112.

[100] انظر: المصدر نفسه، ، ص114.

[101] انظر: المصدر نفسه، ص111.

[102] انظر: المصدر نفسه، ص114-116.

[103] انظر: المصدر نفسه، ص116

وخلال ليالي المأتم، يقوم القرَاء بتلاوة القران الكريم. وتبلغ مدة المأتم أربعين يوما. وتختلف أجرة القراءة حسب مراتب متفاوتة بين القراء، وقد تصل أجرة القراءة في ليلة واحدة عشرين جنيها[104].

الخاتمة

تطرقت هذه الدراسة الوصفية إلى الكشف عن صورة الآخر المصري التي ترسمت في النص الرحلي العُماني بشرق أفريقيا، وذلك من خلال رحلة أبي الرحارث البرواني. وقد توصلت الدراسة إلى صورة الآخر المصري في النص الرحلي للبرواني وفقا لثلاثة مباحث: صور المبحث الأول البيئة المكانية، والسكانية، والأماكن التاريخية للآخر. فيما كشف المبحث الثاني عن مكونات المدن المصرية من أماكن عبادة كالمساجد، والكنائس، بالإضافة إلى أسواق، وحدائق، ومنزهات، وحوانيت، ومتاحف. وأخيرا درس المبحث الثالث المشاهد الدينية، والعادات، والتقاليد، والأعراف للآخر المشابه.

[104] انظر: المصدر نفسه، ص117.

المصادر، والمراجع.

القرآن الكريم.

البرواني، حمد بن علي. (2010م). ط1، **رحلة أبي الحارث،** (مسقط: وزارة التراث والثقافة).

البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق.(1992م). ط1، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،** تحقيق: علي محمد البجاوي، مج3، بيروت، دار الجيل.

بو جمعة، بو حفص. الصورة الأدبية أو الصورولوجيا، بحث في جينيالوجيا المصطلح والدلالة، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية.** الكويت، 2015م

البيروني، أبو الريحان. تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات الأماكن، **مجلة معهد المخطوطات العربية،** القاهرة، مج8، ج 1و2، مايو ونوفمبر1962م.

الرمادي، أبو المعاطي خيري. صورولوجيا الآخر في الرحلة اليابانية لعلي أحمد الجرجاوي – دراسة وصفية، **مجلة آداب البصرة،** ع88، 2019م.

الساوري، بوشعيب.(2014م). **صورة الآخر في رحلات عربية: من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين،** سوريا: دار النايا للدراسات والنشر.

سعد البازعي، وميجان الرويلي، **دليل الناقد الأدبي.** بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 2000م.

سعد الله، مكي. **الرحلات الأدبية العمانية، الأنا والآخر في أدب الرحلة-دراسة نقدية مقارنة** (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة ب اتنة1، الجزائر، 2017م).

شكري، مسعود ، صورة الآخر في رواية المتشائل لأميل حبيبي، **مجلة إضاءات نقدية،** (السنة7، ع36، حزيران2017 م).

عبد الحق بلقيدوم، **صورة الآخر في الثقافة العربية الإسلامية،**
https://platform.almanhal.com/Reader/Article/ تاريخ الاسترجاع 3- 7- 2019م.

العمراني، عبد الرفيع.(2020م). ط1، **المغرب في كتابات الرحالة الناطقين بالألمانية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**(ألمانيا، النمسا، وسويسرا)، أدب الرحلة جدلية الأنا والآخر في عالم متغير، تنسيق: خالد التوزاني. الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الغافرية، مريم. (2010م). **الرحلات الأدبية العمانية، رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا نموذجا**(رسالة ماجستير في اللغة العربية، سلطنة عمان: جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب.

فايزة، إسعد. **العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية لعادات الزوج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجا،** رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2011-2012م.

فوزية ذياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

القاسمي، سطان بن محمد. (1996م). **تقسيم الإمبراطورية العمانية 1856م-1862م،** د.م،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لزهر مساعدية لظهر.،في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات. التقاليد. الأعراف)، **مجلة الذاكرة،** تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع9، جوان، 2017م، الجزائر، ص 36.

المحروقي، محمد بن ناصر. من أدب الرحلة في زنحبار البحث عن أمة واحدة: قراءة في رحلة أبي الحارث للشيخ الأديب محمد بن علي بن خميس البرواني ت 1953م، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، جامعة الكويت- مجلس البحث العلمي،20 يناير 2013م.

رحلة أبي الحارث البروانى

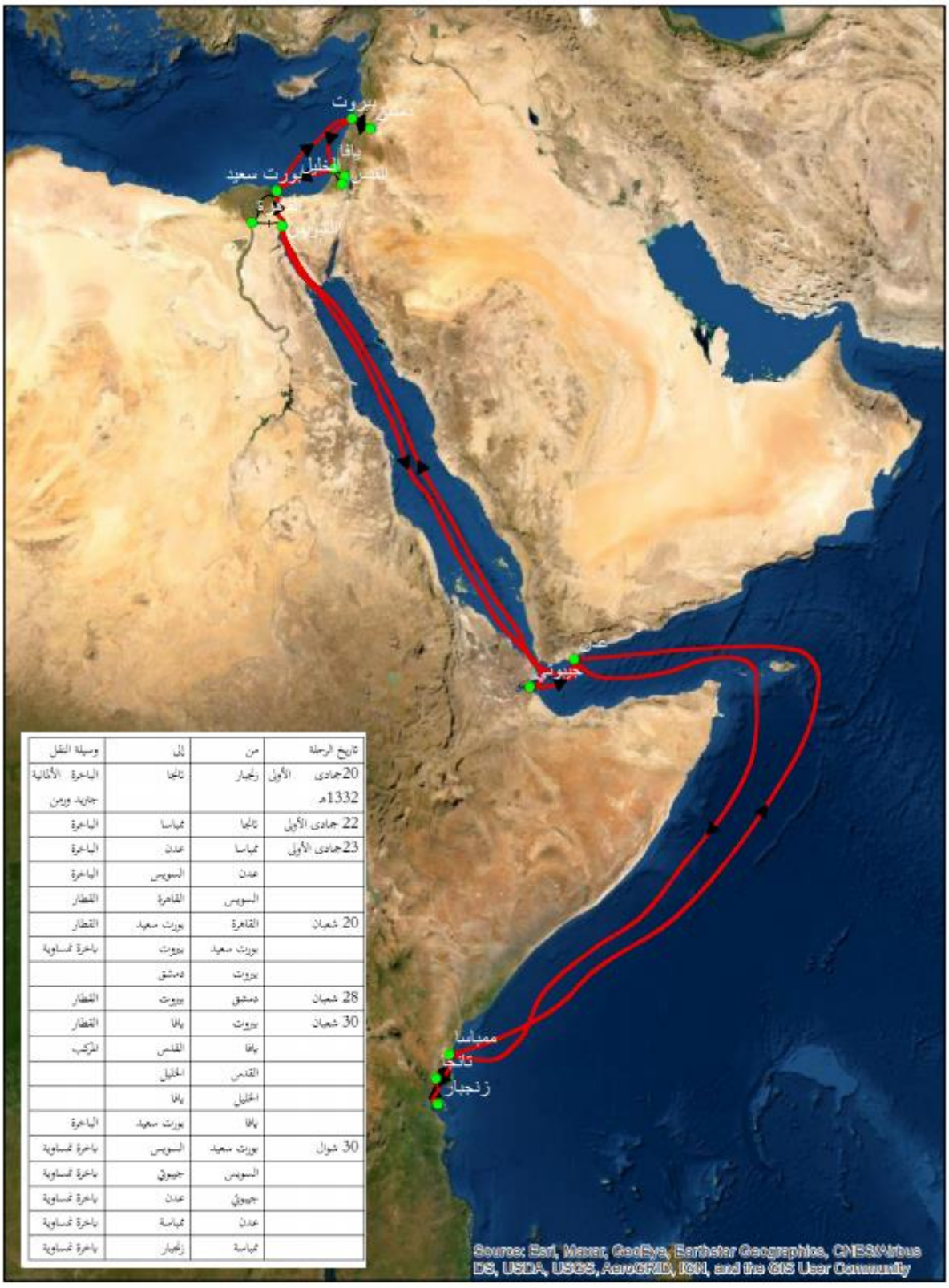

تاريخ الرحلة	من	إلى	وسيلة النقل
20جمادى الأولى 1332هـ	زنجبار	تانجا	الباخرة الألمانية جنريد ورمن
22 جمادى الأولى	تانجا	ممباسا	الباخرة
23جمادى الأولى	ممباسا	عدن	الباخرة
	عدن	السويس	الباخرة
	السويس	القاهرة	القطار
20 شعبان	القاهرة	بورت سعيد	القطار
	بورت سعيد	بيروت	باخرة نمساوية
	بيروت	دمشق	
28 شعبان	دمشق	بيروت	القطار
30 شعبان	بيروت	يافا	القطار
	يافا	القدس	المركب
	القدس	الخليل	
	الخليل	يافا	
	يافا	بورت سعيد	الباخرة
30 شوال	بورت سعيد	السويس	باخرة نمساوية
	السويس	جيبوتي	باخرة نمساوية
	جيبوتي	عدن	باخرة نمساوية
	عدن	ممباسا	باخرة نمساوية
	ممباسا	زنجبار	باخرة نمساوية